ان الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار لانه جاء في الخبر حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات فيحتاج المؤمن الى الصبر على المكاره ليدخل الجنة
ويحتاج الى الصبر عن الشهوات لينجو من النار واما تفضيل التفضيل فعلى ثلاثة
اوجه احدها ان المقامات اعلا من الاحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد
يكونا مقامين فمن كان مقامه الصبر كان حاله الشكر عليه فهو افضل لانه صاحب
مقام ومن كان مقامه الشكر كان حاله الصبر عليه فحاله دون مقامه فقد صار الصبر
زين الشاكر في مقامه والوجه الثالث من التفضيل المقربون اعلا من اصحاب اليمين
فالصابرون من المقربين افضل من الشاكرين من اصحاب اليمين والشاكرون من المقربين
افضل من الصابرين من اصحاب اليمين فان قيل فان كان الشاكر والصابر من المقربين فايهما
افضل قيل قد قلنا ان التمييز لا يتوقف في مقام من كل وجه لان احد الوجهين معلمين لطايفة
اللطيف مثل ما الذي دون الوجوه فلطيفة الصنعة مع تشابه الجهات واستواء
الادوات وافضلهما حينئذ اعظمهما لانه احبهما الى الله تعالى واقربهما منه واحسنهما
يقينا لان اليقين اعز ما انزل الله عز وجل

وجه اخر في جواز التفضيل

نقول ان الصبر عن حظ النفس وعن التنعم والابد افضل ان كان عبدا هاله النعمة
فالصبر عن التنعم والغنى مقام في المعرفة وهو افضل لان فيه الزهد المجمع على
تفضيله ونقول ان الشكر على الفقر والبلاء والمصايب افضل ان كان عبدا هاله
الجهد والبلاء فالشكر عليه مقام في المعرفة وهو حينئذ افضل لان فيه الرضى
المجمع على فضله **نوع اخر** من الاستدلال على فضل الصابر وتفضيل الصبر
جملة الطالب العارف بفضل العارف الشاكر لان الصبر حال الفقر والشكر
حال الغنى فمن فضل الشكر على الصبر في المعنى فكانه قد فضل الغنى على الفقر وليس
هذا مذهب احد من القدماء انما هذا طريقة علماء الدنيا ليحتجوا لنفوسهم بذلك
ولم ينوا للخلق الى نفوسهم من ذلك لان من فضل الغنى على الفقر فقد فضل الرغبة على
الزهد والعز على الذل والكبر على التواضع والتوسع على القناعة وفي هذا
تفضيل الاغنياء على الزاهدين والفقراء او فيه حجة لمن فضل ابناء الدنيا
على ابناء الاخرة وانما فضلنا الصبر على الشكر في الجملة والمعنى لان الصبر حال متى
مقامة البلاء واهل البلاء الامثل فالامثل الانبياء ولان الصبر يعرف اهواله
النفوس الهوى والرد الى الرضا والعبودية واشد في مكاره النفوس وابقى لطبعها
عملا واشد فيما بينه وبين الله واذا اسكنت معه ووجد عنده كان اعجز لوصفها

واعجب

واعجب في كلام بينهما بمرحمته بالسكون والطمانينة ومكانتنا راضية وايضا فان الله امر
بالصبر وبالغريبة بالمصابرة وذكرهما بالمرابطة في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا فبدا بالصبر واخر الوجوه رابطوا عليهما اجمعين ثلاثة اوامر في مكان واحد
فعلى الصبر فهذا يدل على تعظيم الصبر ومحبته له لمن وجد منه ذلك كان اشد لما كان
اشد تعظيما لشعاير الله تعالى ومن عظم شعاير الله فهو اتقى لله ومن كان اتقى
فهو اكرم على الله تعالى كما قال ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب
ثم قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم والصبر ايضا مقام اولي العزم من الرسل الذين
امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم وبالتشبه بهم فقال الله
تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وايضا فان العزايم في الشريعة اعلى من الرخص
وروينا عن سفيان الثوري عن حبيب ابن ابي ثابت قال سيل مسلم البطين ايما
افضل الصبر ام الشكر فقال الصبر والشكر والعافية احب الينا وقد قيل في معنى قوله
تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قيل هو الرد والعفو لان اباحة
خلال الرتبة حسن والانتصار فيه احسن وقد جعل الله تعالى الصبر من العزايم في قوله وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقد شرك الله تعالى عباده في الشكر وافرد لنفسه
لنفسه الصبر فينبغي ان يكون المفرد لاجل اعلا من المشترك في العبد وقال الشكر في
ولوا الرحمن وقال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله
تعالى ولم يشرك في الصبر من خلقه احدا فقال ولربك فاصبر فحكم ربك واعلم ان الشكر
داخل في الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر ان يعصى الله تعالى فقد شكره
ومن صبر نفسه على طاعة الله تعالى فقد شكر نعمته

وقد سيل الجنيد رحمه الله

عن غني شاكر وفقير صابر ايهما افضل فقال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح
الفقر بالعدم وانما المدح في القيام فيهما بشروطهما عليهما فشرط الغنى يصحبه
فيما عليه اشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقر يصحبه فيما عليه اشياء
تلائم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قايمين لله عز وجل بشرطهما عليهما
كان الذي الم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفته ونعمها هذا نص كلام الجنيد
وكان ابو العباس بن عطا قد خالف في ذلك الجنيد فقال ان الجنيد دعا عليه فلحقه ما اصابه
من البلاء فقتل اولاده وتلف ماله وزال عقله اربع عشرة سنة وكان يقول
دعوة الجنيد اصابتني ورجع عن قوله في تفضيل الغني على الفقير فصار يفضل الفقر
ويثني عليه واما المسالة التي سيل عنها بعض العلماء القدماء عن عبدين ابتلي احدهما
احدهما فصبر وانعم على الاخر فشكر فقال كلاهما سواء فان الله تعالى اثنى على عبدين

Copyright © King Saud University